



القوى العالمية في بيئة متحولة: نحو استقطاب دولي جديد؟

2015/1/6

أقام المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق بتاريخ 6 كانون الثاني 2015، حلقة نقاش تحت عنوان "القوى العالمية في بيئة متحوّلة: نحو استقطابٍ دوليٍّ جديد؟" حاضر فيها الكاتب الفرنسي ليونيل فيرون، كما شارك فيها عدد من الشخصيات الفكرية والأكاديمية والسياسية.

افتتح حلقة النقاش مدير عام المركز الاستشاري السيد عبد الحليم فضل الله، مرحبًا بالضيف المحاضر والمشاركين، وعرض موجزًا عن مضمون الحلقة والهدف من انعقادها في ظل هذه التحولات الدولية الحاصلة في العالم، مشيرًا إلى أن السؤال عن الاتجاهات العالمية للسياسة الدولية هو نفسه السؤال عن أوضاع المنطقة العربية ومستقبلها، التي تؤثر في السياسات الدولية بقدر تأثيرها بها. وذكر أن هناك ثلاثة احتمالات بشأن النظام العالمي ودور القوى الكبرى فيه، فإما أن تتطور المنافسات والصراعات إلى حرب باردة جديدة، أو أن تتجدد القطبية الأحادية أو الثنائية أو المتعددة، أو المضي نحو هندسة مرنة للسلطة العالمية تتداخل فيها الصراعات والمنافسات والتحالفات، وتشارك فيها قوى كبرى ودول محورية وتحالفات اقليمية ومناطقية ومنظمات غير دولية. وقد رجح الاحتمال الثالث في ظل زيادة اهمية المعطيات المحلية والإقليمية في تسيير الأحداث في العالم.

أدار الأستاذ وليد شرارة حلقة النقاش مقدّمًا المحاضر ليونيل فيرون، وهو خبير في الشؤون الصينية ومحاضر في معهد الدراسات العليا للدفاع الوطني في فرنسا، له عدد من المؤلفات آخرها "التهديد الصيني". وأشار مدير الحلقة إلى أن هناك خلافًا كبيرًا في تحديد الخلفيات الفعلية للاستقطاب الذي تشهده الساحة الدولية، وهو موضوع حلقة النقاش. ثمّ طرح عددًا من التساؤلات في هذا السياق أبرزها: هل نحن أمام استراتيجية أميركية جديدة، أم أننا أمام غياب رؤية واضحة داخل دوائر صنع القرار، ينجم عنها تخبّط في السياسة الخارجية في سياقٍ دوليٍّ إحدى سماته البارزة استمرار التراجع في النفوذ الأميركي.

شكر ليونيل فيرون المركز الاستشاري على استضافته مرحبًا بالمشاركين. أشار إلى أن حديثه سيتمحور حول نقطتين، أولاهما والأهم هو التحوّل في النظام العالمي الجديد، والذي بدأ يضمحل كما هو رأي أحد المحللين الكبار فهو يشهد نوعًا من الهوة والفرغ. في حين يشهد العالم ولادة نظام

عالمي جديد يركز على لاعبين غير دولتيين، فبعض الشركات المتعددة الجنسيات ذات الرؤوس الأموال الكبيرة تؤدي دورًا مهمًا كما هو حال بعض الحركات الدينية.

العقد الأخير شهد نهاية حقبة وبروز أنظمة ديمقراطية، في حين غابت الإيديولوجية المنافسة. عانى النظام الليبرالي خصوصًا في الغرب من الأزمة المالية التي حصلت العام 2008. فقد بعض الشباب الأوروبي ثقته بالأحزاب وببعض القادة، في حين لاحت في أفق الصين معالم اقتصادية جديدة جديدة بالاستكشاف، فتوجه بعضهم إليها لما فيها من حيوية ودأب دائمين.

تحدث فيرون عن التغييرات الحاصلة في الصين جزاء انتخاب الرئيس الجديد الذي أطلق حملة ضروس ضد الفساد وبعث في نفوس الشعب آملاً جديدة كما حدث عند انتخاب أوباما، لكن الآمال تبددت. الرئيس الصيني يعتبر ليبرالياً ويحتاج إلى حزب وجيش، وهو يعتمد على دعم المحافظين وأكثرهم من الفلاحين لكي يتمكن لاحقاً من القيام ببعض التغييرات. ما قام به هو ترسيخ لرأسمالية الدولة دون ادخال تغييرات على النظام السياسي.

لطالما ابتعدت الصين عن إبداء مواقف محدّدة وصريحة جزاء أي نزاع خارجي ولم تصوت لصالح أحد في قضية شبه جزيرة القرم. وبالرغم من ذلك فإن تتالي الأحداث والمواقف الغربية تدفعهم دفعًا للدخول في توترات مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عمومًا، مع أنهم حاولوا طوال الوقت تحاشي ذلك. موقف روسيا أكثر صراحةً وعدائيّةً. الصين لا تريد دعم روسيا بالكامل قبل تأكدها من قدرة روسيا على مواجهة الغرب، ولذلك ابدت استعدادها لمساندة موسكو اقتصاديًا، إلا أنها تعمل على ان لا تكون العلاقة مع موسكو سببًا لتفاهم الخلاف مع أميركا. الصين تفضل فتح حوار وتعمل على إعادة درس علاقتها مع الخارج.

روسيا باتت تدرك أن مستقبلها لا تقره الحروب أو الاندماج بالغرب، إنما يكمن مستقبلها هذا في توطيد العلاقة مع القارة الآسيوية أو القارة الأوروبية الآسيوية، وهذا الاندماج سيشكل كارثة حقيقية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية. لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أن العلاقة بين روسيا والصين تقف إلى الثقة المتبادلة، وإن كان من تحالف راهن بينهما فهو تحالف ظرفي ومؤقت. واستطرد فيرون مشيرًا إلى أن تحسين وضع روسيا العالمي يتطلب منها القيام باصلاحات اقتصادية وسياسية

ذاكرًا في السياق أن روسيا هي الآن قوة عالمية على الصعيد العسكري لكنها قوة إقليمية على الصعيد الأخرى، بخلاف الصين التي تعد قوة عالمية على الصعيد الاقتصادي والتجاري.

النقطة الثانية التي تحدث عنها المحاضر هي مشكلة أوكرانيا. ذكر ان الاميركيين عقدوا في فترة سابقة نوعًا من التحالف مع الصين ضد روسيا، لكننا نشهد اليوم انقلابًا حقيقيًا في التوجهات. الصين لا تخشى أي نزاع مسلح مع أميركا، لكن تخوفها المستمر يكمن في زعزعة الاستقرار في العالم الذي تنتسب به واشنطن ويلحق الضرر بمصالح بكين الاقتصادية، فالصين بحاجة لبضع عقودٍ أخرى لتأمين قوة عسكرية تواكب صعودها الاقتصادي.

أشار المحاضر الى أن العالم يشهد اليوم بروز مجموعة آسيوية قوية، وان هذا الاندماج آخذٌ بالتعزز على مستوى القارة. ونوّه في السياق بأهمية منظمة شنغهاي OCS والتي تضم الصين وروسيا وعدداً من دول وسط آسيا. الأوروبيون بدايةً لم يحملوا هذه المنظمة على محمل الجد، لكنها حالياً تظهر كمحاور أساسي. فقد برزت أولاً كمنظمة اقتصادية، ثم توسعت دائرة اهتمامها لتشمل أبعاداً سياسية وعسكرية ولا سيما في العلاقة بين روسيا والصين. وتطلب أفغانستان والهند الانضمام حالياً الى هذه المنظمة. وتعتبر الهند اليوم المنافس الأقوى للصين. وذكر أن من أهم أهداف هذه المنظمة الحماية الذاتية ضد تدخلات حلف شمال أطلسي الذي يميل بدوره لأداء دور "الأمم المتحدة".

ختم ليونيل محاضرته بالإشارة إلى أن بإمكان روسيا الصمود تجاه العقوبات المفروضة عليها إذا ما احتفظت بالدعم الصيني. ولكن يجب توخي الحذر من جهة الصين، فعلى الرغم من استفادتها من العلاقة مع روسيا، فإنها لن تضحي بمصالحها الوطنية في هذا الاتجاه.

هناك شبه استحالة لوجود نزاعٍ مسلح، لأنّ الولايات المتحدة الاميركية لم تعد كما في السابق مسيطرة، فهي مضطرة لفتح حوار كما في القضية الكويتية.

بالنسبة للاتحاد الأوروبي فهو الأضعف، إذ انه قادرٌ على فرض معايير فلسفية لكن لا قدرة لديه على التأثير، كما أنه اللاعب الأقل حظاً والذي سيدفع الثمن الأكبر.

وفي ردّه على أسئلة ومداخلات الحضور أشار فيرون إلى أن الصين هي قوة استقرار وليست قوة ثورية، وليس لديها -كما تقول- نموذجًا تريد تقديمه إلى العالم، فالمطلوب أن تتبع البلدان والمناطق والمجتمعات نماذج من إنتاجها وتتاسب مع رؤاها الذاتية وطموحاتها الخاصة. وذكر أن الاستعمار قطع مسار تطور الدول التي سيطر عليها. ورأى أن السؤال الحقيقي هو هل ستسمح القوى الغربية بصعود سلمي للصين؟ الرد هو انها لن تسمح بذلك، لكنها لا تمتلك الأدوات اللازمة لإعاقة هذا الصعود.